

دراسة لوضع المسلمين الهنود بعد الاستقلال

بقلم : الدكتور نسيم اختر الندوي
(الجامعة العلمية - نوبلهي)

شهد التاريخ المعاصر أن معظم البلدان من قارتي آسيا وإفريقيا كانت تحت الاستعمار أو شبه الاستعمار الأوربي في نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين ؛ وتعرضت للاستغلال اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، أما المسلمون في الهند فهم أيضا وقعوا تحت وطأة الفقر والبؤس والضعف والإعسار ، دفعت ظروفهم هذه بعض الزعماء إلى اتخاذ خطوات إصلاحية لتنمية المجتمع الإسلامي الهندي تعليما واقتصاديا ؛ وهم بسبب أو لآخر حاولوا نقت أنظار الإنجليز إلى الأوضاع التي كانوا يعيشون فيها ؛ وأظهروا علاقتهم الوطيدة بهم ، وأثبتوا أن فكرهم فكرة أوربية ، وهذه المجموعة من المسلمين كانت من الطبقة المتمتعة بالتعليم الحديث ، وهي التي شكلت فيما بعد دولة باكستان ، وغادرت بلادنا تاركة بقية المسلمين في وضع حزين ومؤلم ، أما العلماء الذين ساهموا في كفاح الحرية أعرضوا عن السياسة تدريجيا ، وأصبحت الأمة المسلمة تعيش بدون أي قائد كبير ناجح ، فكان ذلك أيضا مضرا للغاية في حق المسلمين .

والمسلمون الذين لم يساهموا في تشكيل باكستان ، ولم يهاجروا إليها كانوا متخلفين في المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية ، ولم تتحسن أوضاعهم حتى الآن ؛ فهم يواجهون اليوم قضايا ومشاكل شتى لا نذكرها تجنبا للإطالة ، فوضع المسلمين الآن هو أن أغلبهم يعيش في المناطق الريفية البعيدة عن المدينة والحضارة ، وهي تبلغ سبعين بالمائة من مجموع عدد

المسلمين ، وهي منتمة إلى طبقة المزارعين والعمال وأرباب الحرف العادية ، والبقية تسكن في مدن صغيرة تشتغل بالصناعات التقليدية ، كالخياطة ، والصباغة ؛ أو الصناعة الميكانيكية الضعيفة ، علماً أن النسبة الحالية للمسلمين في الصناعات العالية ؛ والخدمات الإدارية والمصرفية ؛ والشروطية ؛ والمخبرات ؛ والسكك الحديدية ؛ ومجالات النقل الأخرى لا تتجاوز اثنين بالمائة عامة ؛ والسته بالمائة على الأكثر ؛ والمسلمون العاملون في الصناعات المتقدمة التي تجري بفضل العلم والتكنولوجيا العالين ؛ والقطاعات الكبيرة للصناعات الإنتاجية ؛ ونظم البحث والتنمية والتعليم ، فسببهم قليلة جداً لا سيما في ولايات بيهار ؛ وأترابراديش ؛ وراجستهان ؛ ومدهيابراديش ؛ وهماثل براديش ؛ حيث تخلف المسلمون إلى أبعد حد والحق أن وكالات الحكومة ؛ والمؤسسات المالية لا تمنح المسلمين إلا معونات بسيطة .

يقول الأستاذ مونس رضا نقلاً عن مجلة "الهند اليوم" (India Today) حول أوضاع المسلمين الاجتماعية والاقتصادية الحالية بتقديم معلومات مفيدة ، بإشارة إلى التقرير الذي أصدره البنك الاحتياطي الهندي عام ١٩٩٢م ؛ والتقرير الذي أصدرته هيئة غوبال سنغ ، تقول هذه المجلة أن ٥٣,٥ بالمائة من المسلمين يعيشون تحت خط الفقر بحقيقة دخلهم الشهري القليل الذي قدره مائة وستون روبية أو أقل منه .

❖ ونسبة المسلمين الأميين ٥٠,٥ بالمائة ؛ والذين حصلوا على التعليم في المدرسة العالية ؛ هم أربع في المائة مقارنة لمجموع عدد غير المسلمين الذين بلغوا هذا المستوى التعليمي .

❖ والذين منحتهم الحكومة إعانة مالية لا نجد نسبة المسلمين فيهم إلا ثلاثاً بالمائة .

❖ وخمسة بالمائة من مجموع الهنود الذين حصلوا على الديون لتنمية الصناعة من قبل البنوك ؛ التابعة للحكومة .

❖ واثنان بالمائة من مجموع الهنود الذين أعطتهم الحكومة قروضاً مصرفية .
 نسبة المسلمين في مجال الدفاع انخفضت من اثنتين وثلاثين بالمائة عام
 ١٩٤٧م إلى الاثنتين الآن وقدره السيد شهاب الدين أن نسبة المسلمين في
 القطاعات الخاصة والعامة أيضاً ؛ هي اثنان بالمائة (١) ، يحسن بنا أن نذكر
 هنا أنه من العوامل التي أثرت على أحوال المسلمين ؛ هي الاضطرابات
 الطائفية التي شهدتها كثير من المدن حيث يوجد المسلمون في عدد ملحوظ ؛
 نحو : مرادآباد ؛ وميرت ؛ وهاشم فورة ؛ وعليكره ؛ وبيوندي ؛ وسنبهل
 وما إلى ذلك من الأمكنة الأخرى في البلاد ؛ فهذه الاضطرابات أسفرت
 عن خسارة فادحة للأرواح والأنفس في ناحية ؛ ودمرت ممتلكاتهم
 ومراكزهم الاقتصادية في ناحية أخرى ، ومن المؤسف أن الحكومة لم تتخذ
 أية خطوة جدية إلى تطبيع أوضاعهم الاقتصادية ؛ ولم تعاقب المجرمين ،
 إضافة إلى الأسباب السالفة الذكر هناك عامل كبير جعل مكانة المسلمين
 غير جيدة ؛ والمستولية عنه تعود إلى قلة حيوية المسلمين ؛ وعدم بذلهم
 الجهود في سبيل رفاهية الأمة المسلمة الهندية ؛ وقلة الشعور بالبحث عن
 أسباب ضعفها والمعالجة لها ؛ **فوجدنا المبدأ**

أ- أن المسلمين قلما يفكرون في صدد ترفيع مستوى التعليم .

ب- المسلم الهندي لا يسعى للتعرف على أسباب تدهور الأوضاع
 لأصحاب الحرف والصناعات العادية ؛ و لا يحاول إحصاء هؤلاء الضعفاء ،
 وطبعاً لا يوفق على تعزيز هيكل الاقتصاد تكنولوجياً .

ج- يتواجد في الهند عدد كبير من النساء العانسات والمطلقات
 والأرامل ؛ وهن في عيشة ضنكة ، ومما يؤلمنا أنه لا توجد محاولة منظمة من
 قبل المسلمين لتحسين أوضاعهن ؛ حتى لا ندري بالتحديد نسبة هؤلاء

(1) Moonis Raza : "Indian Muslims in their Homeland"; "Economic and Political Weekly", Sep.24.1994, Vol.39, P.254.

النساء المسلمات اللاتي مضطربات إلى تحمل مشقات العمل لكسب قوتهم ، وهذه كلها تدل على عدم جدية فئة الرجال حول أحوال النساء .

د- كذلك نسبة المتسولين في المسلمين كثيرة جداً ، يتسول عدد هائل للأطفال على الشوارع بدل أن يذهبوا إلى المدارس ؛ لأنهم مضطرون إلى ما يسد جوعهم ؛ وزاد الطين بلة أن هناك منظمات تستغل هؤلاء الأطفال ؛ فتجذبهم إلى فلوس تبدو كثيرة أمامهم ؛ ولو كانت قليلة في الواقع ؛ وهكذا تجرهم إلى الشوارع تحقيقاً لأغراضها المادية الدنية ؛ ومن الأسف أنه لا تنهض أية منظمة أو مؤسسة تبذل أدنى جهودها للاطلاع على مساقط رؤوس هؤلاء الأطفال المنكوبين أو إحصاء عددهم أو كشف العوامل التي تدفعهم إلى التسول .

هـ- المسلمون في الهند فشلوا في تنظيم خدمات اجتماعية منسقة لغرض توفير وسائل الصحة العامة كتظيم صرف مياه المجاري ؛ وإسعاف المتأثرين بحوادث متنوعة ، وهناك دلائل واضحة أخرى تشير إلى أن المسلمين مجردون عن مسؤولية تركز المساعي في سبل رفاهية الأمة ، ويظهر إهمال المسلمين حينما نقارنهم مع أرباب الديانات الأخرى ، فعلى سبيل المثال يدل البحث عن تعليم المسلمين في مديرية "مرادآباد" التي عدد السكان المسلمين فيها ؛ هو ٥٨/بالمائة على أن نسبة التعليم ؛ هي ٣٨/بالمائة عام ١٩٨١م ، ونسبة الناجحين في الاختبارات ؛ هي أيضاً ضعيفة كما يدل عليها الجدول الثالث ؛ حول تسع مدارس ثانوية في مدينة "رامفور" في ولاية "أترابرايش" عام ١٩٨٢م حيث توجد نسبة المسلمين اثنتان وسبعون بالمائة ؛ كذلك يشير الجدول الرابع إلى أن نسبة الطلاب المسلمين الناجحين ، والذين فازوا بالدرجة الأولى ، هي ٤٧,٧/بالمائة ؛ و ٦,٢/بالمائة بالترتيب ، والدراسات العديدة على تعليم المسلمين تثبت النتائج الآتية :

- ١- نسبة الطلاب المسلمين للمدارس العالية والثانوية ؛ هي خمس وعشرون بالمائة بالمقارنة بعدد السكان لغير المسلمين .
- ٢- لا يفوز الطلاب المسلمون بالأرقام العالية في الاختبارات ، فالناجحون بالدرجة الأولى قليلون جدا .
- ٣- الطلاب الذين يدرسون في المدارس التي تدرس فيها بواسطة اللغة الهندية ؛ هم أحسن من الطلاب الذين يدرسون في المعاهد التي يتم التدريس فيها بواسطة اللغة الأردية .
- ٤- المعاهد التي يديرها المسلمون لا يزال يزداد فيها عدد الطلاب غير المسلمين خاصة في الفصول العالية .
- ٥- الوضع التعليمي للطلاب المسلمين في المعاهد ؛ التابعة لإدارة المسلمين أكثر تدهورا من المعاهد التي يديرها غير المسلمين .
هذا هو الوضع لتعليم الطلاب المسلمين ؛ والطالبات المسلمات معا ، ويمكن أن نلخص الأسباب التي تؤدي إلى التخلف التعليمي فيما يلي :
- ١- المسلمون يفكرون أن غير المسلمين يعاملونهم معاملة الامتيازات في الوظائف ؛ فلا جدوى للحصول على التعليم .
- ٢- معظم المسلمين هم مزارعون أو أرباب حرف وصناعات عادية أو عمال ؛ وهم لا يجدون ثمرة اقتصادية سريعة للتعليم ؛ فلا يدخلون أولادهم في المدارس ، أما ضرورة التعليم في حرفتهم وصنعتهم أو زراعتهم الموجودة ؛ فهم لا يحسون بها .
- ٣- الاضطرابات الطائفية تبعث الشعور بعدم الأمن والسلامة في قلوب المسلمين ؛ فهي تؤدي إلى عدم الاستقرار .
- ٤- عاملت البلاد مع اللغة الأردية في المدارس والكليات ؛ حتى في المدارس الابتدائية معاملة غير عادلة ؛ فالأسرة المسلمة لا ترسل البنات إلى المدارس التي وسيلة تدريسها ؛ هي اللغة الهندية .

٥- إن زعماء المسلمين لا يهتمون بتحسين الأوضاع التعليمية للمسلمين حق الاهتمام .

٦- المثقفون المسلمون يعرضون عامة عن المشاكل العلمية والاقتصادية للأمة المسلمة ؛ فيتركونها في وضع لا قائد لها فيه .

٧- هاجر المسلمون بأعداد هائلة إلى باكستان ؛ وأغلبية المواطنين في الهند ظلت مشغولة بالزراعة والتجارة غير المهمة ؛ فلم توجه إلى التعليم العالي .

أما إنجازات المسلمين في مجال العلوم الدينية ؛ فهي مقنعة إلى حد كبير ، فالمدارس الإسلامية ؛ مثل : دار العلوم بديوبند ؛ ودار العلوم ندوة العلماء ؛ ومدرسة الإصلاح ؛ وجامعة الفلاح ؛ ومدرسة مظاهر العلوم ؛ والجامعة السلفية وغيرها من المدارس العربية الإسلامية كانت ولا تزال تلعب دورا حيويا نشيطا في ترويج العلوم الدينية ، والآن توجد في كل منطقة من مناطق الهند مدرسة دينية تخدم الإسلام والمسلمين ، فخص كثير من العلماء المتخرجين من هذه المدارس قبل الاستقلال وبعده والذين قاموا بنشر العلوم العالية والآلية في الهند .

علما بأن نزعة الطلاب المسلمين للقبول في مراكز الدراسات العربية والإسلامية ؛ قد ازدادت كما يبدو من دراسة تمت حول ٥٧٦/مدرسة دينية ؛ وأذكرها في الجدول الأول ، وسبب إضافة عدد الطلاب في المدارس العربية والإسلامية ؛ هو إصلاح المقررات الدراسية منذ نصف قرن مضى ؛ فهي قامت بتعديلات في المناهج التعليمية ، نجد الآن الاتجاهات المتزايدة بتدريس الموضوعات العصرية كبداية التعليم التقني والفني ؛ وتعليم الكمبيوتر ، فهذه التعديلات تحسنت أوضاع الطلاب الاقتصادية أيضا (١) .

(١) لم تتمكن من نشر الجداول الطويلة نظرا إلى قلة إمكانيات الخجلة .